

مَسْئَلَةُ وَتَسْكِينًا

صندوق الدنيا

تأليف : الأستاذ توفيق الحكيم إخراج : الأستاذ سيد أبو بكر
تمثيل : فرقة المسرح المصري الحديث

للاستاذ على متولى صلاح

لا أدري من الذى أطلق على هذه التمثيلات القصيرة اسم « صندوق الدنيا » ؟ أهو المؤلف ؟ أم المخرج ؟ وسواء أكان هذا أم ذاك فإن الشيء الذى لا شك فيه هو أنه إنما أريد بهذه التسمية جلب التفرجين، فإن كلمة « صندوق الدنيا » كلمة شعبية لها استعداد خاص فى نفوس سواد الناس الذين كان هذا الصندوق الخشبى يهرم ويستهوهم عندما يطوف بهم فى القرى والمدن وهم أطفال يدرجون ولو أنهم سموه « صندوق المجائب » لكانت التسمية أدنى إلى الصدق ؛ فإن الذى طلع به علينا هذا الصندوق إنما هو من الخوارق المجائب حقاً :

وهل نشاهد فى حياتنا الدنيا كثيراً من أمثال « صالح بك زهدى » الذى يحترق المال ويزدريه وهو ومن يعولهم أحوج ما يكونون إليه ؟ أو هل نرى كثيراً من أمثال « سهام » تلك الفتاة التى ملأت نفسها شهوة القتل وتأجج بها فؤادها وملكتها « رغبة جامعة وقوة قاهرة تدفعها إلى أن تقتل شخصاً » كما نقول ؟ أو هل نرى كثيراً من أمثال « عبد الفتى بك » البخيل الذى أربى على البخلاء المالىين الأفذاذ من أمثال « الكندى » « وللى الناعطية » بخيل الجاحظ ، و « هارباجون » بخيل مولير ، و « شيلوك » بخيل شكسبير ، و « أوجين جراندي » بخيل هونوريه دى بلزاك ؟ إن هذه الشخصيات فلتات فى الحياة الدنيا ، ولكن الرغبة فى إزدهام المسرح بالناس هى التى أدخلتهم « صندوق الدنيا »

ولا أدري لماذا يتشبه الأستاذ توفيق الحكيم بأن يصف هذه التمثيلات المفرقة باسم « مسرحية » وبأن يجاهداً إلا أن تكون مسرحية واحدة رغم ما بينها جميعاً من « كمال الانقطاع » كما يقول رجال البلاغة ؟ مع أن المسرحية القصيرة أكثر مشقة على المؤلف ، وأشد تضيقاً عليه بحكم قصرها وقلة أشخاصها ومناظرها عن المسرحية الطويلة ، وتوشك المسرحية القصيرة أن يكون لها القدر المثل فى العصر الحديث ؟ أغلب الظن أن المؤلف لم يجد بداً من هذه التسمية وهو يقدم هذه الفصول إلى وزارة الشؤون الاجتماعية ، أو أنه استشعر الحرج إن هو سماها باسم جديد لم يألّفه الناس فنجح إلى السلامة وتكلم باللغة المألوفة عند الناس — وهو يضرر غير ذلك — ثم أخذ يبحث عن الأسباب هنا وهناك ، وأخذ يؤكد للناس أن الحكمة فى جمع هذه الصور المتعددة فى صعيد واحد أن ذلك « مما يساعد على إظهار صور المجتمع فى أوضاعه العديدة المختلفة » وذلك قول مردود ؛ فليس المهم فى المسرح أن تكثر العروضات وتزدحم الموضوعات فهذا ميدانه اللحمة لا المسرحية ، وقد يتناول المؤلف المسرحى غريزة واحدة أو معنى واحداً فيقيم عليه مسرحية ضخمة ، تفيض منها العبارة ، ويفيض على جوانبها الفن والجمال ، كما فعل شكسبير مثلاً حيث تناول غريزة « الذب » فأقام عليها مسرحية عطيل ، وغريزة « الجشع » فأقام عليها مسرحية مكبث ، وغريزة « الانتقام » فأقام عليها مسرحية هملت ، وغريزة « الحماقة » فأقام عليها مسرحية الملك لير ، والمسرح « لقطة » واحدة من الحياة تمشيها ساعتين أو ثلاثاً متحدداً مع ما تراه ، مندجاً فيه بقلبك وعطفك ، وليس المسرح « معرضاً » كبيراً أو « موكباً » ضخماً يمر بك وأنت منفصل عنه تراه بنظرك ولا يستطيع قلبك وعاطفتك أن يتابعاه !

ولقد كتب الأستاذ توفيق الحكيم هذه المسرحيات بلغة أقرب أنها لغة المسرح حقاً ، صكتها باللغة العربية

السمة السهلة المشرقة التي لا تملو على أفهام السواد الأعظم من الناس ، والتي لا تريد على ما يتكلمونه إلا خطوة ضئيلة هي أقصر خطوة — فيما نعرف — بين العامة والعربية ، وذلك أمر ليس — كما يتصوره البعض — سهلاً ميسوراً ؛ فإن تقرب العربية إلى العامة مع المحافظة على سلامتها ونقاها وإمكان أن يفهمها الناس جميعاً ، أمر فوق أنه لا غنى عنه في لغة المسرح ، فهو عسير غاية العسر ، وقد استمعنا — إلى حد كبير — صديقنا الأستاذ توفيق الحكيم كما استطاعه صديقنا الأستاذ على أحمد باكثير هذا أمر أشهد به ويسرنى أن أشهد به ، وأرجو أن يعلم المؤلفون المسرحيون أن الجزالة والفخامة وضخامة الألفاظ وغرابتها ليست من المسرح في شيء .. وإن كنت ما أزال أرجو المزيد من الأستاذ توفيق الحكيم ؛ وأخذ عليه بعض كلمات كان الأولى أن يتجنبها ، كقوله « مقدم الصداق » ولو قال « المهر » لكانت أيسر ، وكقوله « إنني أثيره عندك » ولو قال (إنني مفضلة عندك أو إنني عزيزة عليك) لكان أقرب ، وكقوله « وهكذا دواليك » وهذه عسيرة جداً على المسرح ولو قال « وهكذا تدور أو هكذا تمضي الأيام » لكان أخف كثيراً . على أنني أرجو كذلك أن يجمع الأستاذ إلى سهولة اللفظة سلامتها من فساد قد يكون أضغاث عليها العرف ، فهو يقول مثلاً « إن رزقه محدود لا يكاد يكفي لفتح هذا البيت » وكله « فتح بيت » هذه قد أعطاه العرف معنى غير كريم فكان الأولى أن يتجنبها المؤلف ... ولقد أسلم المؤلف هذه المسرحيات بلقمتها السمة السهلة التي يقرؤها الناس في كتابه « مسرح المجتمع » إلى ممثلين أبوا — كما حدثنا الأستاذ المؤلف — إلا أن ينزلوا بها إلى العامة اعتقاداً منهم أنها عسيرة على أفهام الناس وأنهم لن يستطيعوا متابعتها ، وقد ينتهي ذلك بالإعراض عنها ، ولكنهم في ذلك جد مخطئين

أما المسرحية الأولى « دنيا المبادئ » فتقوم على رجل

لا تستهويه المادة وهو أشد الناس حاجة إليها ، رجل يؤثر الفضيلة والأخلاق على أعراض الحياة ؛ ويؤمن إيماناً عميقاً بالمثل العليا ولو جلبت له الفقر ولذوية الحاجة والحرمان ويدكرني هذا الرجل الذي قدمه لنا توفيق الحكيم في مسرحيته هذه وأعني به « صالح بك زهدى » رجلين قدمهما لنا من قبل الكاتبان الشهيران : مولير وهزليك إيسن ، فقد قدم لنا الثاني (دكتور ستوكان) وهذان الرجلان وصاحبهما الجديد (صالح بك زهدى) يقفون من الحياة موقفاً واحداً ، ويتخذون صفات واحدة ، وإذا عرفنا أحدهم فقد استغنيت عن صاحبه !

وليس في هذه المسرحية بناء مسرحي على الإطلاق ، وإنما هي حوار طويل جداً بين رجلين استغرق في كتاب الأستاذ المؤلف اثنتي عشرة صفحة كاملة لا حركة خلالها ، ولعل الأستاذ المؤلف قد استثمر الملل الذي استثمره النظارة ، فأراد أن يكسر حدثه بأية حركة ، فأدخل الخادم بصينية القهوة بمد تسع صفحات كاملة ! على أن المخرج مسئول عن ذلك أيضاً ، فالخروج ينبغي أن يكون أكثر إحساساً بمواظف الجمهور من المؤلف ، والمخرج ليس آلة صماء في يد المؤلف ، ولكنه متم له يستدرك ما يفوته ، ويكمل ما ينقصه . ولم يكن بطل هذه التمثيلية وأعني به « حمدي غيث » يمثل وإنما كان يخطف أوتك النزعة إلى الخطابة تلازمه كثيراً ، ويبدو أنه يجد فيها نوطاً من التميز والتفرد والبروز على إخوانه ، وأنا أرجو أن يجد من هذه النزعة السيطرة عليه ، وأن يلبس لكل حال لبوسها قبل أن يستحيل إلى يوسف وهي آخر ! وإن لم يستطع فليعزل التمثيل إلى سواء ...

وأما المسرحية الثانية « دنيا الوفاء » فتقوم على أزمة نفسية خطيرة ملأت قلب فتاة شابة هي « سهام » ... أزمة الرغبة الجامحة في القتل ، رغبة « ليس باعثة الانتقام بل لا باعث لها على الإطلاق . إنها شهوة القتل لذاتها مجردة عن أي باعث » إن هذه الفتاة كما صورها المؤلف

وهي مسرحية تقوم على مشاهد مألوفة كثيراً لدى رواد المسرح، والحوار فيها حسن، والدور الذي قامت به « مناء جميل » وهو دور المغنية التبذلة كان شاقاً وقد أحسنت القيام به إلى حد كبير، غير أنها لم تحف بنذلها بعد حضور زوجة الرئيس وتقديمها إليها على أنها زوجة مدير الشركة رغم هذا ! وأعجب من هذا وذاك ألا تكون بهذه الشركة الكبيرة حجرة للاستقبال فتدخل زوجة الرئيس إلى حجرات صناديق الموظفين والفروض أنها مشغولة بهم لولا المصادفة !

أما المسرحية الرابعة « دنيا المال » فتقوم على شيخ بخيل يذكرني بصفة خاصة بها رباحون بخيل « مولير » .. ولا أدري كيف ينسب هذا البخيل العتيد أن يجعل للتليفون قفلاً ويتركه لخادمه مفتوحاً في حين أنه أوثق الرناج على البن والسكر ! ولا أدري كيف يبق خادمه « بسطويس » عنده عشرين عاماً متوها بأن له في « الوقفية » نصيباً وهو أدري الناس بسيد وبكاذب وعوده ؟ ولا أدري لماذا يأتي « عدلى كاسب » بحركات جسيمة كثيرة جداً لا مدلول لها في تصوير هذا البخيل ؟ ولا أدري لماذا لم يظهر « عبد الرحيم الزرقاني » و « كمال يس » في صورة السكهلين الجليلي المنظر كما أرادها المؤلف ؟ ولماذا يكره الناس السكمولة حتى في التمثيل ؟

وبعد : فهذه كلمة عرضنا فيها المسرحيات الأربع التي ألفها الكاتب الكبير الأستاذ توفيق الحكيم ، ونجعل الرأي فيها بأنها خفيفة الظل جيدة الحوار حسنة الالفة ، وأنه كان من سوء حظها أن وقعت في يد مخرج ناشئ لا يكتفي بأن يكون ممثلاً ولا يرضى إلا بأن يكون مخرجاً أيضاً رغم عدم توفر الوسائل لديه ، ووقعت في يد ممثلين كانوا أضعف من المسرحيات كثيراً

على منولى صدام

« فتاة تصوم وتصلى ويتمزق قلبها برحمة بالطفل البائس ابن الكناس فتصنع له بيدها ثوباً يكسو عريه ، فتاة حسنة وديعة مثقفة ، لا تطيق سماح مواء قطة جائعة . ولكنها مضطرة برغبة جامحة إلى أن تقتل شخصاً ، وما تكاد تنفرد بمخادم في المطبخ وفي يدها سكين حتى تلعب عينها ببريق غريب وتهم بطعنه » هذه هي فتاة توفيق الحكيم .. فتاة يرى لها ويشفق الإنسان عليها ، فلما تسلمها منه المثلون أحالوها إلى فتاة مضحكة ترفه عن النظارة وتسرحهم بما تأتي من حركات بهلوانية متكررة طويلة !

على أني أسأل الأستاذ المؤلف لماذا سكنت ثائرة الفتاة في النهاية مع أن القتل لم يتم ؟ وهل يكنى لتسكين هذه الثورة الجامحة أنها « اعتقدت أنها قتلت » كما يقول الأستاذ مع أنها تبينت الأشخاص الثلاثة الذين صوبت إليهم مسدسها فوجدتهم في سلام ؟ وتبينت كذلك أن مسدسها كان محشوا بالبارود الذي لا يقتل ؟ لو أن المؤلف جعل الفتاة تولى الأدبار عقب إطلاقها مسدسها مباشرة ودون أن تبين شيئاً مما حدث لكان أدنى إلى المدلول وأقرب إلى منطق الأشياء ، لأن الفتاة كانت تعتقد حقاً أنها قتلت وأخذ على الأستاذ المؤلف أنه يفسر موقف الفتاة فيقول « آه .. لقد قتلوا فيك روح الحياة ، فخل فيك حب الموت » وذلك بعد تهديد مقتل ليؤدي إلى هذا الكلام . وهذا التفسير اللفظي ليس من المسرح في شيء ، فالمرح تفسره الأفعال لا الأقوال كما يعلم الأستاذ ، وإنما يحتاج إلى الكلام إذا لم تستطع « الأفعال » وحدها أن تقوم بالتفسير والإنهاء !

وأما المسرحية الثالثة « دنيا الأعمال » فهي أدنى هذه المسرحيات إلى واقع الدنيا ، وتقوم على صورة من الاتصالات غير الشريفة بين الشركات وبين رجال الحكومة الذين يسترون أعمال هذه الشركات في دور الحكومة نظير سهرات لطيفة ، ورشاوى و « إكراميات » طريفة ،